المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــــدد 18 A آب 2025
No.18 A August 2025

اللغة العربية بين تحدي الوجود في لغة النص القرآني وثبات الهوية في أدبية الشعر القديم

م.د. نادية سالم عيسى
كلية الآداب جامعة القادسية

الملخص :

تُعد العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية علاقة وثيقة بوصف القرآن الكريم نزل بلغة العرب لذا شاء القدر أن تكون لغة دين إسلامي آخر الأديان السماوية ، فلغة القرآن الكريم المرجع الأساس في فهم الإسلام وتعلمه ، لذا كان للكتاب المبارك الأثر الواضح في الحفاظ على اللغة العربية وتطورها فقد هذَّب الألفاظ ووحد اللهجات وغير الأفكار ، فضلاً عن تنظيمه لتوجهات الأُدباء والشعراء ، فكان للكتاب المبارك السبب المباشر في تهذيب الآداب المختلفة فجعل من اللغة لغة علم ودين وقدّر الله سبحانه لها الدوام والاستمرار لأَن حفظها من حفظ القرآن الكريم وديمومته .

كلمات مفتاحية : اللغة العربية ، تحدي الوجود ، النص القرآني ، الهوية في أدبية الشعر القديم

The Arabic Language: The Challenge of Existence in the Language of the Qur'anic Text and the Persistence of Identity in Ancient Poetry

Assistant Professor Nadia Salem Issa
College of Arts, Al-Qadisiyah University

Abstract:

The relationship between the Holy Qur’an and the Arabic language is a profound and inseparable one, as the Qur’an was revealed in the language of the Arabs. It was therefore destined to become the language of Islam, the final divine message. The Qur’anic text serves as the primary reference for understanding and learning Islam, and it has played a pivotal role in preserving and shaping the Arabic language. The Qur’an refined vocabulary, unified dialects, and transformed modes of thought. Furthermore, it guided the orientations of writers and poets, exerting a direct influence on the cultivation of various literary forms. Through this sacred text, Arabic was elevated to a language of knowledge and faith, granted continuity and permanence, for its preservation is intrinsically tied to the preservation and perpetuity of the Qur’an itself.

Keywords: Arabic Language, Challenge of Existence, Qur'anic Text, Identity in Ancient Poetry

المقدمة:

تُعد الفاظ القرآن الكريم وصوره ومعانيه وتراكيبه رائعة البيان جلية الوضوح مُلهمة للأُدباء عامة والشعراء خاصة في التوسع بها واستلهامها ، وأصبحت ألفاظه هي المسيطر الأول على ثقافة المجتمع ، وهذه السيطرة تحولت إلى أثر وتأثر كان واضحاً في أشعار العرب القدماء وامتد إلى عصرنا هذا بوصفه الأسلوب البالغ الروعة الذي ليس له سابقة ولا حتى لاحقة .

فالقرآن الكريم هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره فعلى هديه أَخذ الشعراء ينظمون قصائدهم ويصوغون آثارهم الأدبية مهتدين به وبما يحويه من حسن مخارج الحروف ورقة الكلمات عندما توضع في موضعها من العبارات ولها من الحلاوة والرصانة التمييز الواضح ، فقد أصبح المعجم

اللغوي الأدبي لهم فتأثروا بألفاظه الجديدة والأساليب المميزة فنظموا على غرارها واستمعوا إلى التطور في بعضٍ منها ونظموا فيه لما للغة العربية من المرونة القادرة على الإبداع بالتجديد والتغيير وهذه صفتها .

كل هذا وغيره سنوضحه فيما يلي من المباحث يسبقها تمهيد عنها .

التمهيد :

إذا كانت اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وسواء كانت هذه الوسيلة أصوات أو حروف مكتوبة أو منطوقة أو إشارات تؤدي الى معنى يحصل منه الانسان على غرضه ويقضي حاجته ويعبر به عن افكاره ويمكن تحقيق ذلك في كل لغة فما بالك بلغة القرآن؟ التي تفوقت بفصاحتها وروعة بيانها وانبهار العرب الأوائل بها ((وذاك أنّا إذا كنّا نعلم- أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك، إلّا من عرف الشّعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يشكّ أنّه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصب الرّهان)) [(1)]لذا يمكن ان تكون أغراض القوم في استعمال اللغة محدودة وبسيطة تبعا لحياتهم لاسيما الدنيوية والغالب على بني البشر الاهتمام بكل ما ينفعهم في دنياهم اما ما يتعلق باخرتهم فيتعدد فهمه والاهتمام به فمنهم من يجعله في آخر قائمة اهتماماته بل قد يصل الحال إلى انكار الحياة الأخرى والكفر بما جاءت به الكتب السماوية ودعا له الأنبياء والرسل وحاله في الآية القرآنية: { فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} [البقرة : 200]. ولهذا فإن للغة هوية وجود وكينونة معنى "ولذا فمن الطبيعي النظر إلى اللغة على أساس أنها تتأثر في صياغة المعنى بتكاتف العناصر الداخلية والخارجية، فهي كائن اجتماعي يتأثر بالمتغيرات النفسية والاجتماعية للأفراد والجماعات، فللخروج بمعنى ما لابد من تقصي كل جوانب الظاهرة اللغوية للحكم عليها، وإبراز المعنى الذي تشكله تلك الظاهرة، بمعطياتها الداخلية (السياق اللغوي أو سياق التلفظ)، والمعطيات الخارجية (سياق الموقف أو سياق الحال). ((بل قد تتشكل اللغات خارج الألفاظ تماما، وتؤدي النتيجة الاتصالية المرجوة منها، وتشير بشكل واضح للمعنى المراد)) [(2)]. وهذا ما يجب مُراعاة في سياق التعامل مع لغة القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم يقول:{وَنَـزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}[النحل: 89].

فالبيان والتبيان يتضح من خلال فهم المعنى ومعرفة سياقات التوظيف اللغويّ بناءً على حدث النزول ولحظية تبليغ البيان . كل هذا وغيره وما لا يحصيه الانسان من علم كله في كتاب الله الذي حوى كل شيء ولذا فكلمات الله لا تنفذ ولا تُحدّ في معتركٍ لفظيّ أو حدثٍ سياقيٍ، فجاء اللسان العربي الترجمان الفصيح؛ كي يعبر عن لغة القرآن بلا لحن او غموض، كما استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن مراد الله تعالى بما ينظم ويتلاءم مع شؤون الكون كله، لاسيما ما يخص حبه الانسان في الدنيا والآخرة اذ الانسان خليفة الله في ارضه. فاللغة تعمل على ((أساس الاختلاف الذي يمكن الكلمات من الإشارة إلى المعنى؛ عن طريق اختلافها مع كلمات أخرى؛ وهذا ما يبرر اللجوء إلى الإحالة...)). [(3)]. ومن هنا يمكن معرفة ثراء اللغة العربية وعناها وامتلاكها لأسباب بقائها وخلودها بل وتطورها بما يلائم التعبير عن متطلبات الحياة في الحاضر والمستقبل وكما كانت في ماضيها التليد ولو لم تكن كذلك لما اختارها الله تباركت اسماؤه لتكون لغة الكتاب السماوي (القرآن الكريم) ولسان اهل الجنة والوحي الذي خاطب به الله النبي الخاتم صلى الله عليهم واله.

إن أهمية اللغة العربية ودورها الكبير لا يقتصر فقط على لغة القرآن الكريم، بل امتدت إلى التراث الشعريّ، إذ كان حافلاً بأساليب جماليّة وصياغات بلاغيّة مكّنته من مجاراة اللغة العربية وإدراك عمق أهميتها ((فكان الشعر إذن أهم فنون الأدب في المرحلة الجاهلية بالمدينة، واستمر له شيء غير قليل من أهميته في ابتداء المرحلة الثانية التي مرت بها، مرحلة الرسول إلى المدينة، فرأى أن يستعين عليها بشعراء الأنصار... وإذا انتقلنا إلى العصر الأموي وجدنا الشعر ينهض في المدينة نهضة واسعة، وكأن

المدينة عادت في هذا العصر إلى حال تشبه حالها في الجاهلية إذ كان الشعر أهم فنون الأدب التي تمارسها، وقد هجرته في عصر الخلفاء الراشدين أو كادت، ولكنها سرعان ما رجعت إليه وأوغلت فيه)) [4].

وادركت أهميته القصوى، لذا تفرع الشعر إلى: فروع تقليديّة، تهتم بالأغراض المُتعارف عليها في العصر الجاهلي من (المديح والهجاء)، وفروع تجديديّة، تعمل على توظيف الغناء في الشعر الغزليّ. ومن هنا اكتسب الشعر مكانة مهمة في العصر الأموي، هذه المكانة رسختها اللغة العربية من خلال ابنيتها اللغوية وسياقاتها اللفظيّة. فحين ننظر إلى طبيعة الأدب في العصر الأموي نلحظ أنه اكتسب رؤية إسلامية لذا تحرك في فلكها بناءً على توجهات وافكار إسلاميّة بحتة لذا يمكننا القول إن الأدب في بداية نشأته وفعل التأثر والتأثير في اللغة العربية أصبح أدبا روحيّاً قبل أن يكون أدبا تعبيرياً عن خيال أو أحاسيس قلبية. إنه أدب تتوفر فيه جملة من الخصائص التي تعتبر في الآن نفسه حدوداً وضوابط ينبغي على الأديب التقيد بها ومراعاتها في أعماله[5]. وهذا ما سنعمد إلى إيضاحه في محاور البحث.

المبحث الأول:

اللغة العربية بين ثبات الوجود وخلود الأثر في النص القرآني

شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون اللغة العربية (بحروفها ومعانيها وبلاغتها) أهم وشائج جمع القبائل في الجزيرة العربية ومن حولها بوصفها وسيلة التفاهم ضمن طريقة التعبير عن أفكار ومبادئ القبيلة البدوية، إلى سبب حياة خير أمة أخرجت للناس لغة خاتم الأديان بلسان عربي مبين، قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) إبراهيم : ٤ .

لذا بقيت اللغة العربية خالدة بوجود عدة عوامل ساعدت على خلودها وبقائها بوصفها نشأت في أرض العرب (الحجاز) وان أول من تكلم العربية هو النبي إسماعيل بن إبراهيم (ع) وهو ابن اربع عشرة سنة[6] ، فهي اللغة الأم للأقوام منذ زمنه (ع).

وامتداداً حتى قريش وزمان وزعامتها على بيت الله الحرام وسيطرتها على التجارة أدى ذلك إلى هيمنة لغة قريش ولهجتها على اللهجات الأخرى في الجزيرة العربية هذا ما أعطى اللغة العربية قوة بقاء واستمرار إلا أن العامل الأهم لخلودها وبقائها . ، إن الله سبحانه وكرمها ((فجعلها لغة السماء مخاطباً بها أهل الأرض قاطبة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها))[7] .

هي لغة آخر دين سماوي ((عربي اللفظ والمعنى عربي الدلالة والمدلول عربي في التفهم والتطبيق لا تعقيد فيه)) [8].

ويكفي اللغة العربية شرفا أنها لغة آخر كتاب سماوي وهي من نعم الله سبحانه وتعالى على العرب بأن لغتهم لغة آخر كتاب سماوي منزل ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

يوسف : 2، لذا فهي خالدة أبدية الخلود.

وشعر العرب يُعد سبباً لخلود اللغة العربية فالعرب حفظوا ونظموا ما يعادل دواوين من الشعر وقد ساعد شعرهم على تفسير القرآن الكريم لإحتواءه على معان ساعدت في ذلك. وهذا ما دعاهم إلى التفنن في حفظ الأشعار ، حتى إن فيها ما كان يقع على معنى اللفظ قرآني أو يساعد على فهمه والعمل به ومن ثم تداوله.

واللغة طاقة خلاقة كائنها ليس فيما يفكر فيه ، ولكنه فيما نقول وإذا كان (جيسبرسن) يرى أن جوهر اللغة يكمن في النشاط الإنساني يكمن في الكيفية التي يتم الإنجاز اللغوي بها. لذا لاحظ دارس اللغة العربية

أنها ذات مستويات عدة وتؤدي وظائف لا حصر لها ، فعكفوا على دراستها أداة بها يكون وصول الإنسان لغاياته وبها يكون حفظ بقائه ، كما عكفوا على دراستها غاية لذاتها، فبها ينتقل الإنسان من كائنه الإنساني إلى كائنه الكلامي ومن الأخير إلى الكائن الشخصي ومن ثم إلى النصي منه .[9]

فاللغة العربية في تراث الإسلام وتراث العرب ما لم يكن لغيرها من أدوات وأساليب لذا لها وبها أسند البيان ولها وبها أنوجد الإعجاز القرآني اللغوي.

واللغة تزخر بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها وهي تتيح لمن يشاء أن يستعملها كيف يشاء ومتى يشاء مع تأدية الغرض من كلامه واستعماله للمفردات واختيارها بحسب المعنى الملائم والتركيب الصحيح ويساعد في ذلك معجمه الذهني المتميز فهو يميل إلى استعمال بعض المفردات دون الأخرى ، فضلاً عن وجود كلمات لا يستعملها إلا إنها من مخزونات المعجم الذهني حتى وإن كان يفهم معناها ولربما استعمل كلمات لا يفهم معناها بوصفها خارجة عن دائرة تعاملاته ووعيه إلا أنها من مخزونه الذهني و معجمه الذي يزداد كلما إزداد ثقافة ووعي[10] .

واللغة هي أداة للإيصال مهمتها نقل معلومات ووظيفتها إيصال أخبار بشكلها اللغوي الذي يتفق مع معناه ، وحين يكون الإيصال فيها أداة للمتحدث فإن اللغة بدورها تسعى إلا أن يكون ذلك الإيصال هو الهدف الأساس لها فيكون الكلام المنطوق هو جوهر العملية (الإيصالية).

هذه العملية الإيصالية، اللغة هي ركنها الأساس ومن ثم الفرد ، بوصف اللغة قادرة على خلق الأشياء بتعبيراتها الدقيقة والمتميزة في جوانبها المختلفة وهذا ما ورد في آيات القرآن الكريم حيث كانت اللغة القرآنية تخلق أشيائها بدقة التعبير ودقة الإختيار فهي تخلق الأشياء بعد أن لم تكن ، مثالها قال تعالى. ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الصافات : ٦٢- ٦٧. فالشجرة هنا خلق على غير مثال وفيها من الإعجاز البلاغي الشيء الكثير وهو من صور التحدي القرآني للعرب.

وكذا الجدلية في سورة البقرة التي اتخذت في اللغة أشكالا عدة بوصف اللغة ذات طاقة خلاقة تحوي جمل (افتراضية) يمكنها - بمرونتها وقدراتها - أن تتحول إلى جمل فعلية متى ما تطلب منها الموقف ذلك.

فهو نوع من أنواع وظيفتها المعجزة ، هذه الوظيفة التي لا تقف عند هذا الحد بل تتميز بقدراتها على قول أشياء تبقى إزاء قدرات الإنسان المعرفية عاجزة عن إدراك ماهبتها ومكوناتها العقدية وهي إذ تقول هذا تخلق له حيرة معرفية ضرورية لوجوده ، وسراً مغيباً فيه سر نفسه وإثارات بها يطمح ان يخرج عن كائنه ويعلو عليه [11]، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء : ٨٥.

وعند حديثنا عن صور تحدي القرآن الكريم للعرب- الذي كان ما سبق جزء منها-نذكر أهمها .

1- عند نزول القرآن الكريم على العرب قال فيه سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال : 31 .

. فجاء الرد القرآني متحدياً اياهم بقوله سبحانه ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ الطور :33.

2- عندما عجزوا عن الإتيان بمثله من الأساطير ، افتراء كما يزعمون بأن يأتوا بعشر سور مفتريات ، قال سبحانه ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود : 13 .

3- ولما ضعفوا وفشلوا في الإتيان بعشر سور زاد الله سبحانه في تقريعهم بأن يأتوا بسورة واحدة من مثله (أقصر سورة) وهذا أقصى غايات التحدي، علماً أن الله سبحانه قد هيأهم لاستقبال وفهم النص القرآني إذ كانوا لا يسبقهم أحد من العرب والعجم في الفصاحة والبلاغة بوصفهم أمة بيان وأمة شعر وخطب. حتى أنهم عندما سمعوا القرآن الكريم شهدوا له بالحلاوة و الطلاوة.

فهذا الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم قال فيه : ((سمعت كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)) [12].

وبعد افترائهم وارتيابهم قال سبحانه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ٣).

فالكتاب المبارك سلك أسلوب التدرج في الحديث معهم وطريقة تحديه لهم .

٤ - وهي المرحلة الأخيرة بالتحدي والأكبر في قوله سبحانه ﴿ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الأسراء: ٨٨ .

ومن أهم أسباب نجاح التحدي القرآني هو الإعجاز بأنواعه ومنه اللفظي في نظمه ومعناه ووجب ضرورة تعلم اللغة العربية وتعليمها ، لغة القرآن ولغة العرب ولغة التراث ... حفاظاً على الآداب الإسلامية المختلفة مع الحفاظ على ثقافتها[13] ، فهي لغة الدين ولغة التراث بآدابه المختلفة وهي الرابط الجامع لثقافات الأمة بوصفها لغة قرآن كريم ولغة فنون وأدب (شعر ، نثر) لما بقيت إلى اليوم .

و بعد أن ذكرنا مراحل تحدي القرآن الكريم للعرب وجب توضيح . ما هي أقوى التحديات التي واجهت اللغة العربية ، فكما بينا أن اللغة العربية هي عنوان الهوية العربية وهي الحافظة لكتاب الله سبحانه وذلك لأن لغة العرب أفصح لغات التخاطب وأبينها فضلاً عن سعة مفرداتها وتراكيبها وتعد الواسطة لنقل الأفكار ومن ثم انتشارها .

وقد تعرضت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل إلى حرب إبادة وتأمر من داخل محيطه وخارجه وهي حرب شرسة استهدفت وأدها ومحاربة بقائها بحجة أنها معقدة وذات قواعد و آداب صعبة التعلم فحاول الأعداء طمسها و استبدالها باللغات اللاتينية للقضاء على أمة وعلم ومعرفة وآداب، فضلاً عن أنها لغة دين ولغة قرآن كريم ، لأنها - وكما يدعون - غير قادرة على التعبير عن متطلبات أبناء العصور الجديدة.

وقد ردَّ الشاعر حافظ إبراهيم على من ادعى أن لغتنا الفصحى لم تعد قادرة على توفير متطلبات العصر الجديد بلسان اللغة نفسها بقصيدة عنوانها (العربية تنعى حظها) قال فيها: [14]

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاني ونـاديت قومي فاحتسبتُ حياتي
رموني بعقمٍ في الشبابِ وليتني عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي
ولدتُ ولما لم أجد لعرائسي رجالاً أكفاء وأدتُ بناتي
و سمتُ كتاب الله لفظاً وغاية وما ضُقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليوم عن وصفِ آلةٍ وتنسيق أسماءٍ لمخترعات.
أنا البحرُ في احشائهِ الدرُ كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فالتشبيه بجمال اللغة العربية في كنوزها وجمالها دلالة على عظمتها وتجددها ، وهذا التشبيه أقوى أنواعه وهو ما حذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه وبقى طرفاه (المشبه والمشبه به) وهو نوع من أنواع تحدي اللغة العربية لمن يريد وأدها وطمس بلاغتها .

ولو بحثنا في مسألة التحديات التي واجهت اللغة العربية نجدها على قسمين منها ما هو داخلي والآخر خارجي .

1 - التحديات الداخلية فهي على وجهين أما أن يكون الأمر طبيعي وغير مقصود بأن تتعرض له العربية شأنها شأن أي لغة أخرى ينتج عن حالة التطور في المجتمع وذلك بدخول ألفاظ جديدة لتعطي معاني لما استحدث في مجالات الحياة المختلفة.

أو أن يكون ذلك التحدي الداخلي مقصوداً ناتج عن سوء نية الغاية منها القضاء عليها ومن ثم القضاء على القرآن الكريم التي قام بها البعض من أعدائها كسلامة موسى وداود الحلبي وغيرهم

وكان لديهم مشروع دعوة الغرض منه القضاء على لغة القرآن الكريم وإنهاء هيمنته في نفوس المسلمين [15]، وهي الأخطر على العربية مقارنة بباقي الدعوات والمؤامرات .

***العامية وخطرها على القرآن الكريم ولغته :**

من هو مؤسس هذه الدعوة ؟

موسى سلامة واسمه الحقيقي (شليمو موش) والذي كان يُعلن العداء للعرب ولغتهم ودعوته ينبذ فيها لغة القرآن الكريم التي تتسم بالتعقيد وصعوبة قواعد نحوها وبلاغتها حتى صار أبناء الإسلام غير قادرين على فهمها ويكون بذلك البديل عنها اللغة العامية التي هي أسهل وألين للكتابة والمخاطبة .

الهدف من العامية هو عزل المسلمين عن العربية الفصحى (لسان عربي مُبين) ومن ثم عزلهم عن الكتاب المبارك وتصبح لغته لغة غريبة عند أغلبهم ومن ثم يهجر القرآن ويُعطل العمل به ويبقى اسم ورسم فقط، حتى وأن قرء لا يفهم لاختلاف لغة المسلم العامية عن لغة القرآن الفصحى والتي صارت لغة التدين والتأليف والمخاطبات الرسمية فقط ، وهو المطلوب من دعوتهم.

هذا فيما يخص التحدي الداخلي أما التحديات الخارجية فهي لا تختلف عن الداخلية ولا تبتعد عنها لأن الغاية واحدة والرغبة شديدة في القضاء على اللغة ، فالتحدي الخارجي غايته القضاء على القرآن الكريم عن طريق لغته بما يلي :

١ - الدعوة إلى اللهجة العامية الدارجة

2- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية.

3 - الدعوة إلى تيسير النحو العربي.

4 - الدعوة إلى حرية الشعر.

5 - الدعوة إلى تطوير الأدب العربي باللغة الجديدة .

خصائص اللغة العربية:

لنذكر بشكلٍ مختصر بعضاً من خصائص اللغة العربية التي تُعد وجه من أوجه الإعجاز القرآني البلاغي والتي جعلت لها تلك الميزة عن باقي اللغات التي اختارها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه المبارك بوصفها أفضل اللغات والتي قال فيها سبحانه(إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥.

فكان ممّا جاء به الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وان العرب* إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً وكذلك الإسلام و المسلم، وكذا مفردة الكفر التي كانت لا تعرف إلا الغطاء والستر ، فأما النفاق فاسم جاء به الإسلام لقوم ابطنوا غير ما اظهروه، والصلاة واصله في لغتهم الدعاء وكذا الصوم المعروف عندهم بالإمساك .

كل هذه الكلمات معروفة عند العرب التي اختلف الناس فيها هل نقلت من اللغة إلى الشرع ؟ فقالوا ان الأسماء باقية على وضعها اللغوي غير منقولة وأن رسول الله (ص) نقلط إلى الشرع [16].

و من الخصائص الأخرى الجمع بنية الواحد ، كقوله سبحانه ﴿ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ الحجرات : 40، فالمنادي هو واحد لكنه ورد بصيغة الجمع ، فضلاً عن الابتداء بالشيء و المراد غيره، وان تأتي بصيغة الماضي ويراد الحاضر أو المستقبل وهو ماض كقوله

سبحانه (أتى أمر الله) أي يأتي وهذا الأسلوب يُعد سنة من سنن العرب والقرآن الكريم جاء به

ليوضح إعجازه لهم بأنه بما يقولون ، فضلاً عن سنة التعويض وهي إقامة الكلمة مقام الأخرى كإقامة المصدر مقام الأمر شاهدها (ليس لوقعتها كاذبة) أي تكذيب .[17]

و من خصائص اللغة العربية التي جعلها الله سبحانه من أساليب كتابه المبارك، اختيار كلمة دون كلمة أخرى مع غزارة المعجم العربي بمفردات تعوض عنها ، منها الكلمات الثقيلة اللفظ والصوت كما في كلمة (ضيزى) في قوله سبحانه ﴿ تلك اذن قسمة ضيزى ﴾ النجم:٢٢ ، فاستعمالها جاء بثقل اللفظ مع تناسي الدلالة. ومثلها الألفاظ الأعجمية الواردة في الكتاب المبارك منها : استبرق وهو الحرير السميك ، والمشكاة وهي تعني الكوة أو النافذة الصغيرة ، ومنها فردوس وتعني الجنة أو البستان الجميل، ومنها الرقيم وتعني اللوح ... وغيرها ، فهذه المفردات منها ما كانت فارسية أو عبرانية أو رومية وغيرها من اللغات الأخرى، هذه المفردات التي لها من البدائل الكثير في العربية وعربيتنا غنية . لكن الله سبحانه وتعالى ذكرها لعدة أسباب منها ان اللغة العربية لم تكن منعزلة عن اللغات الأخرى بل هناك أثر وتأثير نتيجة للاختلاط التجاري والثقافي بين العرب والأمم الأخرى ومن ثم وردت في الكتاب المبارك بوصفها جزء من لغتهم فضلاً عن كونها وجه من أوجه الإعجاز .

وللخطابي رأي في خصائص اللغة العربية بوصفها وجه من أوجه الاعجاز البلاغي للعرب قال فيه :

((اعلم أن الله لما وضع رسوله من موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها ومن الألسن أفصحها وآلينها ثم أمده بجوامع الكلم ومن فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها ، كقوله : (مات حتف أنفه) و (حمى الوطيس) و (لا يُلدغ المؤمن من حجر مرتين) في ألفاظ عديدة تجري مجرى الأمثال)) [18].

هذه الخصائص التي تميزت بها اللغة العربية والتي كان لها الحضور البهي في القرآن الكريم عُدّ بعضها من أوجه الإعجاز والآخر بوصفه سُنة لتكون حجة على العرب عندما عجزوا عن الإتيان بمثله وادعائهم بأنه مغاير للغتهم وما يقولون فأنزله الله سبحانه وتعالى بالحروف والمعاني التي يستعملونها في أشعارهم ومخاطبتهم ليوقع الحجة عليهم في عجزهم عن الإتيان بمثله .

المبحث الثاني:

اللغة العربية بين تجديد اللفظ وتحوّل المعنى في النص الشعري

القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب سواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله أو عن خلقه سبحانه للسموات والأرض أو عن البعث والنشور حتى وحين يشرح للناس حياتهم وتقييمها على نهجٍ سديد يحقق لهم السعادة في الدارين (السعادة الأبدية).

فحول اللغة العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر أحل فيها ألفاظ بمعان لم تكن تعرفها من قبله ولا حتى كانت تعرف التعبير عنها ، فلو وقفنا عند ألفاظ ابتدأها ابتداء كالفرقان والكفر والإيمان والشرك والصوم والصلاة لوجدنا انها لم تكن مسألة ألفاظ فحسب بل هي دين جديد له مضمونه الذي لم تكن العرب تعرفه من قبل فوضفوها في أعمالهم الأدبية المختلفة .[19]

فضلاً عن أن القرآن الكريم له روعة بيانية كبيرة ، اكتسبت بواسطته ألفاظ اللغة العربية روعة المعاني ودقتها وإثراء مدلولاتها التعبيرية التي يمكن أن تُرسخ في نصيّة واحدة ثابتة من معالم آياته المباركات .

والكتاب المبارك استعمل فنون كلام عربية عرفها العرب من قبل ثم استعملوها بلباس جديد وقوالب خاصة وأُطر لم يكن لها سبق .

والشعر أحد تلك الفنون الأدبية التي. أهتم بها العرب يوم لم يكن لهم فن سوى الخطابة والأمثال، وكان للشعر الجاهلي وجود بروعة تعبير وصدق مشاعر وعذوبة ألفاظ .

وأغلب النقاد القدماء والمحدثين اتفقوا في تعريفه وفهمه وعلى الرغم من أنه مَرَّ بمراحل عدة بوصفه (ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون)[20] ، وقالوا فيه بأنه (علم قوم يكن لهم علم أصح منه).[21]

فهذا القول ما هو إلا دليل على أن الشعر ليس ذلك الكلام الذي يكون للهو والمتعة فقط بل هو ثقافة وصناعة وجهد عظيم، وهذا ما أكده الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ) حيث قال (الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير)[22] وتبعه في ذلك قدامة بن جعفر (ت: 337هـ) حين قال : إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها كالخشب للنجارة والفضة للصياغة.[23]

فعلى أساس ذلك نلحظ إنهما يدعوان إلى الاعتماد على التصوير والصناعة لبيان مدى جودة ورداءة العمل الأدبي بصوره عامة والشعر بصورة خاصة.

وقد شبه ابن رشيق القيرواني (ت: ٥٤٥٦) بيت الشعر ببيت البناء . فقال : ((البيت في الشعر كالبيت في الأبنية قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى ولا خير في بيت غير مسكون وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية كالأواني والأوتاد للأجنية فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغنى عنها))[24] ، فكل من الطبع وسمك الرواية والعلم والدرية والمعنى مصدرها الأول اللغة القادرة على التطور وتجعل الشاعر قادراً على الإبداع.

والشعر تعبير عن واقع حياة عربية لغايات عدة منها اصلاح ذات البين بوصفه رسول الخير والإصلاح ويُعد اللسان الناطق الأول للقبيلة والمؤثر لذا اهتم به العرب وأصبح لسانها المعبر عن حالها ،

فضلاً عن كونه ذات فعالية بقوة المفردة وغزارة المعنى بوصف مهمة الشاعر تفوق مهمة الفارس المحارب.

لذا اهتم العرب بلغتهم وكان واضحاً في شعرهم ونثرهم فاهتموا بالألفاظ والمعاني وطريقة صياغتها في كلامهم وقولهم وكانوا يولونها الاهتمام الواضح والعناية الفائقة وإنهم لم يتركوا الشاعر يقول كما يحب أو يتصرف باللغة كما يحلو له بل كان الأمر خاضعاً لذوق عام وأسلوب رصين.

ومن المعروف أن اللغة هي المكون الأساس للعمل الأدبي عامة . والشعر خاصة ، إذ تعد اللغة واحدة من مكونات البناء الفني للقصيدة ومن غير الممكن الحديث عن المكونات من دون أن تحظى لغة القصيدة بالعناية الأولى لأنها العنصر الأول الذي تقوم عليه ، واذا افترضنا على سبيل المثال قصيدة تخلو من الموضوع المفيد أو الصورة الموحية أو الموسيقى الملائمة للموضوع إلا إنه لا يمكن تصورها خالية من الألفاظ والتراكيب ا للغوية . [25]

فالصلة قوية بين القرآن الكريم والشعر العربي صلة قوية يوصف الشعر (ديوان العرب) والكتاب العزيز نزل (بلغة العرب) لذا يُعد القرآن الكريم الذروة البلاغية في كلامهم وشعرهم ، أخذوا من ألفاظه الكثير لقداسة نصه ورؤيته الجديدة المصاحبة للدين الجديد غيرت طريقة التفكير لدى المتلقي.

وإن استعمال الشعراء للمفردة القرآنية أمر ظاهر في أشعارهم ممَّا يدل على أنهم يستعملون هذه المفردات أو التراكيب القرآنية لا بسبب حسهم الديني فقط بل لأنهم يدركون أن لغة القرآن الكريم مصدر مهم من مصادر اللغة الفنية وهم في استعمالاتهم لهذه المفردات يدركون أنها ليست بالغريبة أو الأعجمية بل هي ألفاظ تأنسها الأسماع إذا تُلِيَّ القرآن الكريم أو رُتل.0[26]

واللغة العربية لم تبق على حالها وإنما ازدادت نمو بعد نزول القرآن الكريم واستحدثت ألفاظ لم تكن موجودة وتغيرت دلالات بعضها بما يتطابق مع القرآن الكريم أولاً وروح العصر ثانياً،

قال (هوراس) صاحب كتاب (فن الشعر) : (لكل جيل أن يسلك من الألفاظ ما طبعته روح العصر ، فكما أن الغابة تستبدل أوراقها كلما انسلخ عام ما نبت منها قبل غيره سقط كذلك الحال مع الألفاظ أقدمها أسبقها إلى الزوال، أما الجديد منها فمزهر تام مثل جيل فتي)[27] .

ولم ننسَ رأي القاضي الجرجاني فيما قال بأثر الإسلام على ألفاظ الشعر (فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتطرف اختار الناس من الكرم آلينه وأسهله وعمدوا إلى شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا ألينها سمعاً والطفها من القلب موقفاً والى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على اسلسها وأشرفها) [28]، ووضعوا للألفاظ خصائص ليأخذ الشاعر منها الجميل المعبر عن المعنى لتجنب الألفاظ المبتذلة التي نهى عنها القرآن الكريم .

ونطرح رأي لمؤرخي اللغة العربية اتفق معهم مؤرخو الإسلام على أن العرب لم يكن لهم وجود أدبي بعد خمول وهذا الاتفاق يرجع إلى أصلين : المؤرخون ينظرون له على أنه تأييد لنزعة دينية يراد بها إثبات أن الإسلام هو الذي خلق العرب فنقلهم من الظلمات إلى النور ومن العدم إلى الوجود، ومؤرخو اللغة العربية وآدابها يرجع الأمر عندهم إلى الشك في كثير من النصوص الأدبية التي أثرت عن العرب قبل الإسلام[29].

جاء القرآن الكريم بما يحمل من تعاليم غير حياة العرب ونقلهم نقلة حضارية واسعة شملت جوانب الحياة المختلفة. (سياسية ، اجتماعية ، عقلية ، وحتى النفسية) ، وقد أثرت هذه العوامل في أدب تلك الحقبة الزمنية (شعره ونثره) فتأثر الشعراء بلغته ومعانيه وبدا ذلك واضحاً في أشعارهم .

والعرب هم أهل الفصاحة والبيان ، فالإسلام تحداهم بمعجزة كلامه وآياته وصوره ومعانيه فلما سمعوه وجدوه يختلف تماماً عما عرفوا من أقوال الشعر وخطب النثر وسجع الكمان . وقد تأثر الشعراء بالكتاب

المبارك حتى انصرف بعضهم عن قول الشعر حين وجدو سحر البلاغة والبيان فيه يفوق ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم العرب القدماء أمثالهم (لبيد بن ربيعة) حينما عرضوا عليه إنشاد الشعر كتب سورة البقرة وقال : (أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر)[30]

وبالمقابل استمر الشعراء في قول الشعر بعد الإسلام بدفاعهم عن الدين الجديد وعن صاحب تلك الرسالة المقدسة وبالأخص عندما تأكدوا أن الإسلام لم يُحرّم الشعر ولا يحاربه وانما صقله ووجه أغراضه ومعانيه وصوره وجعلته ... الوجهة الصحيحة التي فيها خير دينهم.

والشعر (ديوان العرب) ميدان حرفة وساحة منافسة و به يعرفون وإليه يصيرون لذا افاد الشعراء من ألفاظ القرآن الكريم ولغته و معانيه وصوره وأفكاره وأدخلوها في ديوانهم الشعري لما فيه من ألفاظ وصور وأفكار تمتاز بعلو الرونق واصبح معجمهم الذهني يختزن ألفاظ قرآنية إسلامية وهو ما يُفسر فصاحة لسانهم وروعة تصويرهم وبراعتهم في القول واخذو الابتعاد عن الجاهلية واصبح الشعر ينطبع بطابع اسلامي قرآني فضلا عن الوضوح في الالفاظ والدقة في الأساليب والصور البديعية التي تمتاز بجزالة اللفظ المستوحى من ألفاظ القرآن الكريم .

واستمر كثير من الشعراء ينظمون الشعر وينشدونه بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن يدافعون عن الدين الجديد وكتابه المبارك ويردون بسباب الشعراء الهجائين للدعوة المباركة وكتابها ورسولها ، بالمقابل هجروا أغراض جاهلية منها الهجاء الفاحش والفاضح والفخر الذاتي والقبلي.

بالمقابل ظهرت ألفاظ جديدة استعملها الشعراء في الدفاع عن الدعوة الاسلامية ومدح رسول الله (ص) ورثاء الشهداء ....

نذكر مثالاً ما قاله كعب بن مالك في مدح الرسول (ص) :[31]

فينا الرسولُ شهابٌ ثم يتبعه نورٌ مضيءٌ له فضلٌ على الشهبِ

الحقُ منطقهُ والعدل سيرته فمن يُحبه إليه ينج من تَبِبِ

فضلا عن ذلك كان تأثير القرآن الكريم واضحاً على الألفاظ الجاهلية المستبدلة بأخرى إسلامية، فالتحية كانت تستعمل عند العرب بصيغة

(أنعم صباحاً) و (أنعم مساء) و (حييت صباحاً) و (حييت مساءً)

لما نزل القرآن الكريم استبدلها بتحية الإسلام (السلام عليكم) فأخذ الشعراء يستعملونها كعبارة في أشعارهم متأثرين بقوله سبحانه ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ الفرقان : ٦٣

وقال الفرزدق في ذلك :

لقد هاج في عيني ماء على الهوى خيال آتاني آخر الليل زائره

لمية حبا بالسلام كأنما عليه دم لا يقبل المال تأثيره[32]

عواطف الحب والشوق عند الشاعر أثارت الدموع وحبه سال تلك الدموع أي انه تأثر عاطفياً لدرجة ذرفت عيناه دمعاً .

وفي بيت آخر لابن الدمينة قال فيه :

قلنا السلامُ عليكم وهو يزبرنا ورحمة الله أما بعد ما الخبر[33]

فالتحية الإسلامية كان لها وجود في الشعر حتى في غرض الغزل هذا الغرض الذي أخذ طابعاً إسلامياً جديداً عند الشعراء .

إن التطور الحاصل في الألفاظ عند نزول القرآن الكريم يُحتم على الأدباء تغيير دلالة بعضها واصبحت تبدو وكأنها ألفاظ جديدة تستعمل للمرة الأولى إلا أنها في حقيقتها ألفاظ جاهلية كان الشعراء يستعملونها قبل نزول القرآن الكريم وبعد نزوله انصبغت بصبغة جديدة فضلاً عن جمع من الألفاظ الإسلامية التي لم تكن معروفة عند العرب لذا استعملوها لورودها في الكتاب المبارك ، العربية الأصل منها والأعجمية ، وكان أبرزها لفظة (قرآن) المشتقة من جذرها الثلاثي (قرأ) وعرفها العرب بهذه الصيغة واستعملوها في أدبهم إلا أنها فيما بعد (بعد نزول القرآن الكريم) اعتبرت من الكلمات الإسلامية متأثرين بقوله سبحانه : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ الزخرف : ٣ .

إنموذج قول حسان بن ثابت الذي استعملها بكثرة في خطابه للمشركين ورده عليهم ، مثالاً قوله :

كفرتم بالقرآنِ وقد أُتيتم بتصديقِ الذي قال النذير[34]

فحسان يهجو فريشاً بسبب كفرهم بالقرآن الكريم وتكذيبهم خطابه الحق.

ووظفها جرير في أشعاره حين قال :

لولا الخليفةِ والقرآن نقرؤه ما قامَ للناسِ أحكام ولا جمع[35]

فالمدح هنا استعمل الشاعر فيه لفظة (قران) اللفظة المستحدثة من لغة القرآن الكريم المشتقة من أصلها (قرأ) المراد منها (يقرأ) للذي (كُتِبَ).

والكثير من الألفاظ تغيرت دلالة معناها من استعمالٍ ، جاهلي إلى إسلامي ، لفظة (الهُدى)

أو (الهداية) المستعملة عند العرب لهداية الطريق فيقولون هديت فلاناً الطريق وهديته أي تقدمت عليه لأرشده ، قال الأعشى فيها وهو من شعراء العصر الجاهلي :

إذا كان هادي الفتى في البلا د صدر القناة أطاع الأميرا[36]

الاستعمال للفظة (هادي) في بيت الأعشى استعمال مادي إلا أنها في صدر الإسلام تغير استمالها بوصفها ذُكرت في القرآن الكريم بصيغة دلالية إسلامية عقائدية إيمانية ، فهي في الإسلام تستعمل بمعنى (الهداية) خلاف (الضلال) وفيها وردت آيات كثيرة منها قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هوى للمتقين﴾ البقرة : ٢ ، فقال جرير في استعمالها بإسلوب متميز ومعنى إيماني عميق في حادثة هدم الخليفة الوليد بن عبد الملك لكنيسة المسيحيين: [37]

إن الكنيسة كان هرم بنائها قسراً فكان هزيمة للأخرمِ

فأراك ربك إذ كسرت صليبهم نور الهدى وعلمت ما لم تعلم

فضلا عن أن القرآن الكريم أثر على أدبية بعض المفردات المستعملة عند العرب قبل نزوله بالمعنى وبالصورة والأسلوب وهي المفردات الدالة على الضلالة والجهل حيث دخل عليها الاستعمال القرآني وغيرها من صورةٍ أدبيةٍ إلى صورةٍ أدبيةٍ أخرى مغايرة تماما للأولى منها لفظة (الكفر) المستعملة عند العرب في جاهليتهم بدلالة الستر والغطاء للشيء حيث كانوا يطلقون على المزارع بالكافر لأنه يغطي حبوب الزراعة بتراب الأرض.[38]

أما ورودها في القرآن الكريم فكان بتغير ذلك المعنى وتلك الدلالة حيث اصبحت تستعمل لما أُريد به عكس الإيمان بمعنى الكفر المستعمل كغطاء للإيمان ، فغير القرآن الكريم معنى ومدلول هذه اللفظة أدبياً ، قال تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ البقرة : ١٠٨ ،

وفيها وفي دلالتها الجديدة قال الشاعر :[39]

فو الله ما أنساك ما هبت الصبا ولأبكينَّ في محضري ومسيري

على أسدِ الله الذي كان مدرهاً يذُود عن الإسلام كل كفورِ

هذان البيتان يُحيلان إلى إيمان مطلق بأن لغة الشعر شديدة الارتباط بثقافة الشاعر الدينية والإجتماعية وهو يصف ذلك الشعور برؤية مؤثرة وقوة في التصوير الفطري السليم .

وفي القرآن الكريم أسلوب يمتاز بالثراء المميز أفاد منه الشعراء وأدخلوه في أشعارهم فزادها ثراء استعمال وقوة موقف أسلوب إدخال الهمزة على الأداة (لم) فتعطي قوة التعبير ، قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ المائدة : ٤٠ ففي بيت شعري للشاعر المخضرم (سحيم) استعمال هذا الأسلوب بقوله :

ألم تعلموا أنا فوارس نجدةٍ إذا خام في الهيجا الضفاف الزعانف [40]

فضلاً عن الأسلوب السابق دخل أسلوب آخر بقوة في الشعر لإستعماله بثراء تعبير وقوة معنى في القرآن الكريم وبصيغ عدة وهو أسلوب النداء بصيغه (يا أيها النبي) و (يا أيها الذين آمنوا) و ﴿ يا أيها الذين كفروا ﴾ و ﴿ يا أيها الناس ﴾ وغيرها التي أثرت على أدبية الشعر القديم واصبح أسلوب ثري استعمله الشعراء كوسيلة مؤثرة لمخاطبة المجتمع بفكرةٍ ما، منهم الشاعر (حسان بن ثابت) في بيته المشهور الذي استعمل فيه أسلوب النداء بقوة معنى وجمال تعبير :

يا أيها الناس ابدوا ذات انفسكم لا يستوي الصدقُ عند اللهِ والكذبُ[41]

في القول دعوة للناس للتأمل في صفتي (الصدق والكذب) وهي صفات لا تستوي عند الله لتناقضها في المعنى والاستعمال .

قال تعالى : ﴿ اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ البقرة : ٤٣ ،

وقال سبحانه في موضع آخر من السورة المباركة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ البقرة : ١٨٢

في الآيات المباركات فرائض ذكرها الله سبحانه في كتابه المبارك التي كثيرا ما استعملتها الشعراء في قصائدهم وهي من الألفاظ الجديدة والمتميزة دخلت الشعر العربي بعمق تعبير نابع من قوتها لارتباطها بأقدس العبادات الواجبة، فاستعملت بشكلها المعبر من قبل الشاعر الأحوص حين قال: [42]

سلامُ الله يامطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلامِ

ولا غفرَ الإله لمنكحيها ذنوبهم وإن صلوا وصاموا

و من الصفات الذميمة التي انتشرت في الإسلام وفيها إظهار المرء للإيمان باللسان مع إضمار الكفر في القلب هي صفة (النفاق) ، التي قال فيها حسان بن ثابت: [43]

وكم رددنا ببدرٍ دون ما طلبوا أهل النفاق وفينا أُنزل الظفرُ

ونحن جندك يوم النصف من أحدٍ إذ حزَّبت بطراً اشياعهم مُضرُ

في الابيات استعمال حسان صفة (النفاق) وهي من صفات الخيانة والكذب اطلقها على من بطن الكفر وأظهر الإيمان متأثراً" بقوله سبحانه وتعالى ﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ المنافقون ١

فالباري سبحانه وتعالى وصف من تتلبس به صفة النفاق بأنه كاذب والكذب الصادر عن النفاق من الصفات التي نهى عنها القرآن الكريم واصبحت مبتذلة في المجتمع الإسلامي واستعملتها الشعراء على من يصفوهم بالكذب والغدر.

ذكرت في مواضع عدة من دراستي هذه ان الله سبحانه وتعالى غير مداليل بعض الألفاظ وكساها بطابع ديني إسلامي قرآني ، استعملها الشعراء لغايات عدة ووظفوها في تعزيز أفكارهم بصياغة جديدة في شعرهم لكن أصبح التغيير بمدلول لفظة كانت مستعملة عند العرب القدماء وكساها الإسلام بطابع ديني والشعراء استعملوها لغايات عدة، مفردة الصيام المعروفة عند عرب ما قبل الإسلام بالِامساك كما في قول النابغة الذي ذكره صاحب لسان العرب عند حديثه عن المعنى اللغوي لمفردة الصيام فقال بها إنها الامساك عند عرب ما قبل الإسلام مستشهداً بالبيت الشعري :[44]

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ تحن العجاج وأُخرى تعلك النُجُما

فقال فيها الفرزدق يهجو [45]

وجاء بجلمودٍ له مثل راسه ليُسقي عليه الماء بين الصرائمِ

فضاق عن الأَثنِيَّةِ العقبُ إذ رمى بها عنبريٌ مُفطرٌ غير صائمِ

هذا الهجاء يوكد أن الألفاظ دخلت حقول جديدة سواء كان أثراً أو تأثراً بالقرآن الكريم أو دخولها حقول دلالية (الدلالة اللفظية) أو جوانب إيحائية ... إلا أنها اخذت معترك جديد متأثرة بالقرآن الكريم وألفاظه ومفرداته حتى دخلت في أغراض الشعر المختلفة لوجود ضالة الشعراء فيها وهذا يعكس ثقافة الشاعر القرآنية في تلك الحقبة الزمنية وما تلاها من الكتب فهي إرادة الله سبحانه وتعالى بأن يبقى القرآن الكريم خالداً ودراساته متجددة بتجدد ثقافة المجتمعات المختلفة

الخاتمة :

خلصت الدراسة إلى ما يلي :

* إن اللغة العربية الفصحى أجمل لغة أوجدها الله سبحانه وان لم تكن كذلك لما اختارها الله سبحانه أن تكون لغة خاتم الكتب السماوية وهي خالدة بخلوده لأنه سبحانه تكفل بحفظ القرآن الكريم ولغته.

* تُعد العامية من أهم التحديات التي تعرضت لها اللغة العربية التي دعا لها المستعمرون الهادفة إلى عزل المسلمين عن قرآنهم للقضاء على لغتهم .

*- يجب تظافر الجهود وتلاقح الأفكار بين أبناء الأُمة الإسلامية لبقاء لغتهم عزيزة خالدة منيعة على من يُريد النيل منها .

*- إن القرآن الكريم كسى ألفاظ اللغة العربية دلالات جديدة متناهية في الدقة كالصلاة والدعاء ، والقضاء والقدر ، وأسماء الملائكة ... وظفها الشعراء في أشعارهم وأبدعوا في ذلك ، فضلاً عن استعمال القرآن الكريم لأساليب لم تكن العرب تعرفها من قبل كإسلوب النداء بإستعمال صيغ قرآنية محددة وأسلوب إدخال الهمزة على (لم) وغيرها من الأساليب الأُخرى الواردة في أشعار العرب القدماء وهي من مستجدات الحياة الجديدة .

*- تمكن القرآن الكريم من إلغاء مفردات وصور وتراكيب من قاموس الشعراء اللغوي واستبدالها بالإسلامية منها فضلا عن تغيير دلالة استعمالها وطبعها بطابع ديني ملائم للبيئة الإسلامية الجديدة .

*- إن معاني ومفردات وصور القرآن الكريم مسيطرة تماماً على ثقافة المجتمع لذا استعملها الشعراء بثقافة قرآنية واضحة ووظفوه خير توظيف في أغراضهم الشعرية المختلفة .

الهوامش:

1- دلائل الإعجاز ، الجرجاني: 8-9 .
2- المعنى خارج النصّ(أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب) ، فاطمة الشيدي: 12-13
3- العناصرُ الفلسفية المؤسّسة لوظيفةِ الأدب، د. فارس عزيز المدرس: 131 .
4- الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أميّة، د. شوقي ضيف: 70، 72 .

5- يُنظر: دراسات في الأدب وفلسفة اللغة، مصطفى شميعة ،77 .
6- ينظر: الفرقان في تفسير القرآن ، و. محمد الصادقي : ١٤ / ٣١٩
7- سلامة اللغة العربية ،عبد العزيز عبد الله محمد : ٢١
8- الفرقان في تفسير القرآن : ١٤ / ٣١٩
9- الأسالوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي : ٥٤
10- ينظر: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، د. فتح الله احمد سلمان : ١٤ .
11- ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب : ٦٧
12- مجمع البيان في تفسير القرآن العلامة الطبرسي ١٠٠ / ٣٨٧
13- ينظر: الفكر الإسلامي وعلوم القرآن - مرتضى المطهري : ٥٩
14- ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصححه ، أحمد أمين وآخرون ،قافية النون
15- ينظرا: صراع اللغة العربية من أجل البقاء : 123
16- لقد ذكرته في المبحث الثاني شواهد شعرية توضح توظيف الشعراء لهذه المفردات في نتاجهم الشعرى بياناً لطريقة استعمالها قبل الإسلام وبعده.
17- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، العلامة عبد الرحمن السيوطي. تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرون : 1/ 334 ، 339
18- المصدر نفسه 334/1 ، 339
19- المصدر نفسه : ١ / ٢٠٩
20- ينظر: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، د. شوقي ضيف :30
21- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمعي ، تحق: محمود محمد شاكر : 1/ 24
22- المصدر نفسه : 24/1
23- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحق: عبد السلام محمد هارون: 131/3 - 132
24- نقد الشعر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر (ث : 337 هـ)تحق. د. محمد عبد المنعم خفاجة: ٦٥

25- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني(ت : ٤٥٦ هـ) ، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد : 121/1
26- ينظر الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ، د. عز الدين إسماعيل : ٥٠
27- ينظر الشعر عند الجواهري، د. علي ناصر غالب : ١٧3
28- فن الشعر ، هوراس : ٧3-٧٤
29- الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضي على الجرجاني (ت : ٣٩٨ هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل البجاوي : 18 - 19.
30- ينظر: النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك : 33/1
31- شرح المعلقات السبع ، الزوزني : 200
32- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق وشرح : مجيد طراد : 25
33- ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه : علي فاعور :279
34- ديوان عبد الله بن الدمينة ، صنعه ابو العباس ثعلب، تحق :احمد راتب النفاخ : 49
35- ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، ضبط : عبد الرحمن البرقوقي : 250
36- ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب ، تحق: نعمان محمد آمين : 1/ 295
37- معجم مقاييس اللغة ، ابوالحسن بن فارس (ت : ٣٩٥) ، تحقيق : عبد السلام هارون باب الهاء .
38- ديوان جرير : 1/ 71
39- ينظر : معجم مقاييس اللغة . باب الكاف
40- ديوان حسان بن ثابت : 242
41- ديوان سحيم الأسدي ، تحق: عبد الله القتم : ٤٢
42- ديوان حسان بن ثابت : 78
43- ينظر كل من : طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمجي (ت : 231 هـ) ، شرح محمود محمد شاكر : ٥٤١ ، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي(ت : 1093 هـ) ، تحقق: عبد السلام محمد هارون : 2 / 134 ٠
44- ديوان حسان بن ثابت : ٢٥٦
45- لسان العرب ، مادة (صوم)
46- ديوان الفرزدق : 603

المصادر والمراجع

•القرآن الكريم

أولاً / الكتب

- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، فتح الله أحمد سلمان ، ط2 ، دار الآفاق العربية ، مصر ، 2008 م .
- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، منذر عياشي ، د.ط ، مركز الإنماء الحضاري ، دار المحبة ، دمشق ، 2009 م .
- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، د. شوقي ضيف ، ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1982 م .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255ه) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، د.ط ، القاهرة ، 1938 م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي (ت: 1093 ه) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997م .

- ـدراسات في الأدب وفلسفة اللغة، مصطفى شميعة، ط1 ، دار نيبور،العراق ، 2014 م.
- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1992 م .
- سلامة اللغة العربية ، عبد العزيز عبد الله محمد ، ط1 ، جامعة الموصل ، العراق ، 1985 م .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعه أبو سعيد السكري ، د.ط ، الدار القومية للطباعة والنشر ، 1965 م .
- شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد الزوزني (ت:486ه) ط1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2002م .
- ـالشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ، د. عز الدين إسماعيل ، ط3 ، دار الفكر العربي ، د.ت .
- الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أُمية ، د. شوقي ضيف ، ط5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1992م .
- ـصراع اللغة العربية من أجل البقاء ، كاظم محمد النقيب ، د. ط ، مطبعة الطف ، العراق ن د.ت .
- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي (ت: 231ه) ، قراءة وشرح : محمود محمد شاكر ، د.ط ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1980 م .
- العربية تواجه العصر، د. إبراهيم السامرائي، د.ط، دار الجاحظ للنشر، بغداد ، 1982م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، 1981 م .
- العناصر الفلسفية المؤسسة لوظيفة الأدب ، د. فارس عزيز المدرس ، ط1 ، المركز العلمي العراقي ، بغداد ، 2016 م .
- ـالفرقان في تفسير القرآن ، د. محمد الصادقي ، ط1 ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2013 م .
- الفكر الإسلامي وعلوم القرآن ، مرتضى المطهري ، ط1 ، دار الإرشاد ، بيروت ، لبنان ، 1420 ه .
- فن الشعر ، هوراس ، ترجمة : د. لويس عوض ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1947 م .
- لسان العرب ، ابن منظور جمال الدين (ت: 711ه) ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414 ه .
- لغة الشعر عند الجواهري ، د. علي ناصر غالب ، ط1 ، دار الصادق للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005 م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: 548 ه) ط2 ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، د.ط. دار التراث القاهرة .
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت: 395ه) تحقيق : عبد السلام هارون ، ط2 ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابلي وأولاده ، مصر ، 1972 م
- المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالة الخطاب) ، فاطمة الشيدي ، ط1 ، دار نينوى ، سوريا ، 2011ه .
- النثر الفني في القرن الرابع ، زكي مبارك ، ط1 ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، د.ت.
- نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت: 337 ه) ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجة ، د.ط. ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت .
- ـالوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل البجاوي ، ط3 ، القاهرة، د.ت .

ثانياً / الدواوين الشعرية

- ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصححه : أحمد أمين وآخرون ، ط3 ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1987م .
- ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق : نعمان محمد أمين ، د.ط . دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ضبط : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ، 1980 م .
- ديوان سحيم عبد بني الحساس ، تحقيق : عبد العزيز اليمني ، د.ط. ، القاهرة ، 1950م.
- ديوان عبد الله بن الدمنية ، ضبطه السيد محمد الهاشمي ، د.ط ، مطبعة المنار ، مصر ، د.ت.
- ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه : علي فاعور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م .
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق وشرح : مجيد طراد ، ط1، دار صادر ، بيروت ، 1997 م .
- شعر أيمن بن خريم الأسدي ، تحقيق : عبد الله القتم ، د.ط. ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، 2003م .